

أسس بناء الدعوة الجهرية والتعاطي مع تحدياتها الماثلة

Building the foundations of public call to Islam and addressing its challenges

أحمد المجتبى بانقا*

الملخص

واجهت الدعوة الجهرية بالإسلام تحديات في سبيل تعطيل المشروع الإسلامي، ومن حيث التوصيف لها فقد بنيت على أمرين اثنين الجهر بها مع الإعراض عن المعادين للإسلام من أجل إيصال صوت الإسلام لكل الناس، مع استيعاب وفهم ردة أفعالهم تجاهها، لذا كان من الطبيعي أن تنشأ نتيجة لذلك مواقف معادية لرسالة الإسلام، فقد واجهت قريش الدعوة الجهرية بالتعذيب والتفاوض والحصار الاقتصادي وتضييق الخناق على أصحاب الدعوة من أجل إخراجهم من البلاد، وسيحاول البحث مناقشة هذه الأبعاد واستراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة هذه المسألة، ولقد وردت هذه الحثيات في مواضع عديدة في القرآن الكريم كما يتضح من خلال بناء محاور الدراسة، وانتهج البحث المنهج الاستقرائي لمحاولة لملمة أطراف الموضوع من المصادر ذات الصلة، والمنهج التحليلي لفهم مداخلات الموضوع ونتائج المعالجات التي تبناها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل استيعاب التحديات وإيصال رسالة الإسلام لمن عارضها وصد عنها، وتتمثل أهمية الموضوع في أنه بناء استراتيجي في سبيل الدعوة إلى الله وكيفية التعامل مع مناهضي رسالة الإسلام عبر الزمان والمكان باعتبار أن أي تحدي يواجه الإسلام والدعوة إليه في مقلب الأيام والسنين لا بد فيه من الاهتداء بأسس مواجهة التحديات في الجهر بالدعوة الإسلامية، وهذا ما يبين مشكلة البحث بقدر تبينه لأهميته، **واشتمل** البحث على محاور منها: مفهوم وأسس الدعوة الجهرية، التحديات الماثلة للدعوة الجهرية، الدعوة في الواقع المعاصر تحدياتها وسبل التعاطي معها.

* أستاذ مشارك، قسم دراسات القرآن والسنة، كلية عبد الحميد أبو سليمان معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة

الإسلامية العالمية ماليزيا. elmogtaba@iium.edu.my

الكلمات المفتاحية: الجهرية – التحديات – التعاطي – الأبعاد الاستراتيجية.

ABSTRACT

The public call to Islam faced challenges that tried to disrupt the Islamic mission. To explain the condition, it is observed that it was built on two things, spreading Islam openly disregarding those who are hostile to Islam in order to convey the voice of Islam to all people. Hence, it was natural that there would be opposing segments to Islam in polytheistic community. The Quraysh approached the Islamic call with torture, negotiation, economic blockade, and tightening the screws on the proponents of the call in order to get them out of the country. The research will try to discuss these dimensions and the strategies of the Prophet, may peace be upon him, in dealing with this issue. These challenges were cited in many places in the Qur'an Al-Karim. The research adopted the inductive approach to try to collect the information from the relevant sources, and the analytical approach to understand the intervention of the subject and the results of the treatments adopted by the Prophet, may peace be upon him, in order to absorb the challenges and deliver the message of Islam to those who opposed it. The significance of the topic lies in building a strategic dimension for the sake of calling to Allah SWT and how to deal with the opponents of Islam across time and space. It is necessary to be guided by the foundations of facing the challenges in spreading Islam, and this shows the problem of statement in the present study. It contains few specific issues, which include: The concept of foundations of public call to Islam, possible challenges to face, calling towards Allah in the present period, its challenges and how to deal with it.

Keywords: open message – challenges – dealing with – strategic dimensions

مفهوم وأسس الدعوة الجهرية

الجهر لغة: الإعلان والظهور^١، وقال الراغب في المفردات: الجهر: ظهورٌ لشيءٍ بإفراطٍ حاسة البصر أو حاسة السمع

^١ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار

الهداية، دت، ط) ج ١٠، ص ٤٩٥.

وقد وردت مفردات كلمة الجهر في القرآن الكريم في سياقات ومواضيع متعددة قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (١٤٨) [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (١١٠) [الإسراء]، وقد تأتي بصيغ مغايرة مع اتفاقها في معنى الجهر كقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) [الحجر] قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أي أظهر دينك^٢.

أقام النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة الدعوة السرية بناء جماعة مسلمة على أسس العقدية والأخلاق، ذات مستوى رفيع، وقادر على الزود عن حياض الدعوة متسلحاً بالصبر ورباطة الجأش في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وكان هذا من نتاج المدرسة النبوية طيلة فترة الإعداد السري الذي استطاع بفضل الله تعالى امتصاص الصدمات القرشية التي ما فتئت تترصد به، وتكملة للأدوار المرسومة لبناء الإسلام ودولته الأولى.

أسس الدعوة الجهرية في مكة:

كانت مدة الدعوة السرية التي اتسمت بالبناء المعرفي والتكوين النفسي كافية لخروج الدعوة وتبليغها لكل الناس على سبيل الجهر بها، على أسس فاعلة في نماء وتطوير الدعوة، وقد بنيت هذه الأسس لمواجهة تحديات الدعوة الإسلامية وفي ذات الوقت هي أسس فاعلة في نشر الدعوة وتطويرها^٣.

دعوة الأقربين: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) [الشعراء]، فجمع قبيلته صلى الله عليه وسلم وعشيرته، ودعاهم علانية إلى الإيمان بإله واحد، وخوفهم من العذاب الشديد إن عصوه، وأمرهم بإنقاذ أنفسهم من النار، وبين لهم مسؤولية كل إنسان عن نفسه. عن ابن عباس صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر

^٢ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ج ٣، ص ١٢٤٢.

^٣ سعيد حوي، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ٣،

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) ج ١، ص ٢١٧.

ما هو، فجاء أبو هب، وقريش، فقال: رأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو هب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)﴾ [المسد] ٤ وفي رواية - ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: «أنقذوا أنفسكم من النار..» ثم قال: يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبئلهما ببلاها»^٥، دلت نذارت الأقربين على تسلسل المسؤولية وتدرجها في سبيل التبليغ لدين الله تعالى وتربية أفراد المجتمع، فالأقربون أحق بالمعروف أن يبدأ بهم، وهم أخرى أن يلتزموا بمنهج الدعوة وأن يدافعوا عنه، - كما قيل في المثل الرائد لا يكذب أهله^٦ - ولقد تمثل ذلك في أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال الشيخ الألباني: "أن خديجة أول من أسلم من النساء....، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت"^٧، وكثير من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم نافحوا عن دعوة الإسلام وهاجروا بدين الله مبلغين كجعفر بن أبي طالب ورقية بنت محمد صلى الله عليه، ومنهم من دافع عن المسلمين برباطة القربى والدم كأبي طالب وغيره.

خفض الجناح للمؤمنين: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾ [الشعراء]، أي لين جانبك وتواضع لهم وارفق بهم، وهو أمر منصب في سياسة الناس واللفظ بهم، وهذا طريق الله تعالى في هداية الناس فقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام بلين الجانب لفرعون والتلطف به بحجة أن فاقد المعرفة جاهل بما تحتويه رسالة الإسلام فهو في حاجة لاستيعابها والتفاعل معها، وهي من أسس الإعداد العظيم الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم لتربية

^٤ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط ٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧)، ج ٤، ص ١٧٨٧، حديث رقم ٤٤٩٢

^٥ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم (د.ت، د.ط) ج ١، ص ٤٦٩، حديث رقم ٣٠٣

^٦ فضل حسن عباس، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م) ج ١، ص ٥٣٥.

^٧ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح السيرة النبوية (عمان: الأردن: المكتبة الإسلامية، ط ١، د.ت) ص ١١٩.

أصحابه، وبناء الجماعة المسلمة المنظمة الأولى على أسس عقدية، وتعبدية وخلقية رفيعة المستوى، فالمسلمون الجدد في حاجة لاستيعاب مفهوم الرحمة والمسؤولية المجتمعية التي ترمي على عاتقهم في مستقبل الأيام باعتبارهم مبلغين لرسالة الإسلام، وممتطين مفاهيم الخلافة الإسلامية التي بنيت على المعرفة التامة بدين الله تعالى، وامثال التوحيد في مفاصل الحياة كافة^٨، قيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، وإيثار الآخرة على الدنيا^٩، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام].

- الصدع بالدعوة وتعميمها للعالمين: والصدع بالدعوة تعني تفريق كلمة المشركين، ببيان أدلة بطلانها وبدعوتهم لتوحيد الله تعالى، فهم أحق أن يعرفوا مبادئ الإسلام وتقوم الحجة بهذا الصدع والذي به يسقط عنهم ثوب العذر إن لم يؤمنوا وتقوم الحجة عليهم، وهو ضمن سياق قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء].

- الإعراض عن المشركين والصبر على أذاهم: لم يكن محمدا صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل بل تعرض كغيره لكثير من ألوان السخرية والتعذيب واتهموه بالسحر، والكذب، والسفه، واتهموا القرآن بالاختلاق، والنقل من الأساطير، واتهموا المسلمين بالضعف وعدم التعقل^{١٠}، ولقد سلاه الله تعالى بسير الأنبياء والمرسلين، فهذا نوح قال له قومه: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ (١١١)﴾ [الشعراء]، وهذا شعيب قال له قومه: ﴿قَالُوا يُشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا (٩١)﴾ [هود]، وهذا إبراهيم ألقوه في النار، وما سلم منهم موسى الكليم فقد قالوا عنه أنه أدر^{١١}، كما عذبوا زكريا وابنه يحيى حد القتل، لذا وَسَمَ

^٨ د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية

(المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٦، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ج١، ص١٦٠

^٩ الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين (بيروت: دار المعرفة، د.ت، د.ط) ج١، ص٧٧.

^{١٠} أحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)،

ص٥٤٠.

^{١١} عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه

المشركون محمدا بالجنون، والسحر، وسخروا من فقره في شبابه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) [الزخرف]، هذه ردة فعل قائلها من الكفار في حاجة لفهم رسالة الإسلام بأسلوب لطيف وإعراض عن أي إثارة استفزازية، لعل الله تعالى يقذف في قلوبهم الهداية والرشاد كما حصل لكثير منهم فصاروا أئمة دعاة إلى الحق، ومن بقى على كفره قامت الحجة عليه.

مراحل ومقاصد الإبتلاء في الدعوة الجهرية: لقد مرت الدعوة الجهرية بتحديات عظيمة وعقبات جسيمة بذل النبي صلى الله عليه وسلم جهدا عظيما في سبيل مجابهة وتطويع هذه التحديات، مما جعل منه دافعا قويا في تربية جيل الصحابة وتدريبهم على سبل التحمل في سبيل إظهار دين الله تعالى، ويمكننا باختصار الإشارة إلى جانب من تلك التحديات على سبيل المثال لا الحصر:

- غرابة الدعوة الإسلامية: انبنت مفاهيم الدعوة الإسلامية على كثير مما يخالف عادات الناس ومعتقداتهم حيث كانت البيئة شركية غارقة في عبادة الأصنام وتقديس العادات التي أفسدت حياة الناس حيث قتل الأبناء والبنات خشيت إملاق^{١٢}، وتفاضلوا بالعرق واللون واللسان، وانتشرت الخمر والميسر وغير ذلك كثير، ولقد لخص ذلك جعفر بن أبي طالب في حوار مع النجاشي حيث قال: "أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونُسيء الجوار، ويأكل القويُّ منَّا الضعيفَ، فكُنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبدَه ونخلع ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعُدَّ عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنَّا، واتَّبَعْنَاهُ على ما جاء

فخرج موسى في إثره يقول ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا»، الأدر: كبير الخصيتين - صحيح البخاري، ج ١، ص ١٠٧، حديث رقم ٢٧٤.

^{١٢} الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي، السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (دمشق: دار ابن كثير، ط ١٢،

به، فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليرُدُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجو أن لا نُظلم عندك أيها الملك" ١٣.

- طبيعة المكون الإسلامي الأول وترفع القرشيين: يلاحظ عادة أن أغلب أتباع دعوة المرسلين يكونوا من الفقراء والعبيد، ولقد قالوا من قبل لنوح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء) [١١١]، فلما رد طلبهم هددوه بالقتل، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء) [١١٦]، ولقد قالها هرقل لأبي سفيان: "وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل" ١٤. ولقد كال لهم أشرف قريش كل سب وتعذيب وكان قد ترفع القرشيون من اتباع محمد بسبب دخول هؤلاء الضعفاء والفقراء والعبيد في الإسلام، وقد طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة أن يطرد المستضعفين من المسلمين حتى يجلسوا إليه، وفي كل مرة كان يتنزل قرآن ويكون موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفض، عن عبد الله بن مسعود، قال: "مر الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب، وبلال، وعمار، وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، اطردهم، أرضيت هؤلاء من قومك، أفنحن نكون تبعا لهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، فلعل إن طردتهم أن تأتيك، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ

١٣ ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ط ١،

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) ج ٢، ص ٣٧٥، حديث رقم ١٧٤٠.

١٤ صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٦١، حديث رقم ٢٧٣٨.

مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) ﴿[الأنعام] ١٥.

طبيعة المجتمع القرشي: العادة محكمة وتغيير عادات وتقاليد ومعتقدات الناس في حاجة لمواجهة طويلة سيما أن هذه الموروثات صارت ثقافة وعرف اجتماعي عام، وهذا ما اصطحبه القرشيون في معاداتهم للإسلام فقد تعلقوا كثيرا بموروثاتهم التي يعتبرونها مقدسة، بل أدخلوا هذه الموروثات حتى في مفوضاتهم حيث طالبوه بأن يحبي الله قصي بن كلاب، وكانوا أخوف ما يخيفهم ذهاب عاداتهم وتقاليدهم أدراج الرياح، وأن يحل محلها الإسلام الذي ساوى بينهم وبين عبيدهم، والذي حرم عليهم الشرك وتأليه الناس، والظلم والزنا وشرب الخمر والربا وغيرها من مظاهر الجاهلية، ولقد رأينا كيف بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة^{١٥}، مطالبين النجاشي برد المهاجرين من المسلمين إلى قريش بحجة أنهم فرقوا وحدة قريش وشقوا عصي الطاعة عنها، وكانوا شديدي الاعتزاز بموروثاتهم قال الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣)﴾ [غافر].

تحديات قريش للدعوة الإسلامية:

بعد مدرسة مراحل ومقاصد الابتلاء بتقديم المتاح في مواجهة التحديات الماثلة نجد أن أبرز نقاط التحدي ترحلت في التعذيب والتفاوض والحصار الاقتصادي والتضييق على الدين الإسلامي حتى تُترك ساحة الدعوة إلى قريش وموروثاتها وفيما يلي جانباً من التفصيل المختصر لهذه التحديات.

^{١٥} البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٩٨٨م، ٢٠٠٩م)، ج ٥، ص ٤٠٩، حديث رقم ٢٠٤١.

^{١٦} الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٧هـ) ج ١،

سياسة التعذيب:

ما أن صدع محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة الإسلامية إلا وقد واجهه وأصحابه عنف منقطع النظير، في سبيل إسكات صوت الحق، وكانت سياسة التعذيب ذات بعدين بدني ونفسي فقد آذاه أبو جهل سبه ورماه بحجر، وكلما مر بهم غمزوه بالقول، وأرادوا قتله صلى الله عليه وسلم، عن عروة ابن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْلِي فِي حَجَرِ الْكَعْبَةِ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمَرَاتِي أَيْكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدُمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يَمْهَلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَتَ النَّبِيُّ سَاجِدًا فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحْكِ، فَانْطَلَقَ مَنْطَلَقًا إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَهِيَ جَوِيرِيَّةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبِيحُهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشِ اللَّهِمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشِ اللَّهِمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشِ». ثُمَّ سَمِ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ، وَعَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ، وَأُمِيَّةَ بْنَ خُلْفٍ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ، وَعِمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ»^{١٧}. وعقبة بن أبي معيط وضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم - وقرأ - قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.. (٤٢)﴾ [غافر]^{١٨}، وقال له عتيبة بن أبي لهب أنا أكفر بـ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)﴾ [النجم] وبالذي ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨)﴾ [النجم] ثم تسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه صلى الله عليه وسلم، إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحينئذ دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «اللهم سلط عليه كلبك، فخرج في قافلة يريد الشام فنزل منزلاً، فقال: إني أخاف

^{١٧} صحيح البخاري، ج ١. ص ١٩٤، حديث رقم ٤٩٨

^{١٨} نفس المصدر، ح ٣، ص ١٤٠٠، حديث رقم ٣٦٤٣.

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا له: كلا، فخطوا متاعهم حوله وقعدوا يجرسونه فجاء الأسد فذهب به»^{١٩}. وهذا من أشد ما تعرض له صلى الله عليه وسلم من الأذى الجسدي. وأورد القرآن الكريم ألوانا من ألفاظ التعذيب المعنوي، ونفى ما تفوه به المشركون معللين ثباتهم على شركهم وعدم رغبتهم في اتباع رجل مجنون قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) [الحجر]، فرد الله كذبهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢٢) [التكوير]، وتارة يتهمونه بالسحر والكذب والشعر والكهانة^{٢٠}، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤) [ص]، وترفعوا عنه بسبب فقره واقترحوا أن يختار الله لأمر النبوة أحد الرجلين العظيمين في مكة والطائف، عروة بن مسعود الثقفي أو الوليد بن المغيرة^{٢١}، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) [الزخرف]، وغير ذلك كثير من الأساليب التي أوردها القرآن على لسان حالهم وجعلوها حائط سد منيع في تقبل الإسلام.

وكذا عاش الصحابة في سبيل الدعوة ألوانا من التعذيب فمنهم من قتل -سمية بنت الخياط وقيل الخباط ثاني امرأة أسلمت بعد خديجة وأول شهيدة في الإسلام-^{٢٢}، ومنهم من فقد وعيه ومنهم من جروه في رمضاء الظهيرة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه

^{١٩} الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١-١٩٩٠م) ج ٢، ص ٥٨٨، حديث رقم ٣٩٨٤، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^{٢٠} علي بن نايف الشحود، موسوعة فقه الابتلاء، (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع) ج ٤، ص ٢٢٦ وقال حديث صحيح.

^{٢١} عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، الرسل والرسالات (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) ص ٥٩-٦٠.

^{٢٢} محمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية دراسة موثقة لما جاء فيها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً مرتبة على أعوام عمر النبي صلى الله عليه وسلم (العهد المكي) (مكة: مطابع الصفاء، ط ١، ١٤٢٣هـ) ص ١٤٢.

الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوههم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ^{٢٣}.

مفاوضات مُغلَّفة بالكِبَرِ والسُّخْرِية: دخلت قريش في تحدٍ جديد في مفاوضاتها مع محمد صلى الله عليه وسلم وإثناؤه عن الدعوة، فقد دخلت قريش المفاوضات وفي جعبتها، ما ترمي به محمد صلى الله عليه وسلم من جنون، وسحر، وسخرية من واقعه الاقتصادي، واتهام نواياه ومقاصده، هذا ما ارتكزوا أساسا عليه في جميع مراحل التفاوض القرشي لرسول الله صلى الله عليه وسلم. أرسلت قريش عتبة بن ربيعة سيد قومه مفاوضا نيابةً عنهم فقال: "يا بن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال له صلى الله عليه وسلم : «أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدُ تَنْزِيلٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ١ : ٥]. ثم مضى رسول الله فيها، يقرأها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك»^{٢٤}. قام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: "نخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله

^{٢٣} علي محمد على الصلاحي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث دروس وعبر، (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠٩م) ج ٤، ص ٦٠.

^{٢٤} محمد الغزالي، **فقه السيرة**، تحقيق: تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني (دمشق: دار القلم، ط ٧،

١٩٩٨م) ص ١٠٦.

ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم^{٢٥}.

ومن ثم لم تكتفي قريش بما جاء به عتبة بن ربيعة بل كرروا ذات الأسئلة وذات المطالب، وذات الإغراءات، ولما عجزوا لجأوا إلى حيل الأسئلة المغلفة بالأذى والتكبر، فقد طالبوه بمطالب حكاها القرآن في مواضع عديدة وقالوا له أدع ربك يزيل عنا جبال مكة وصحرائها ويبدلنا أنهارا وبساتينا، وادع ربك يغنيك عن فقرك، وأن يجعل معك وزيرا من الملائكة، واعرج إلى ربك في السماء وأتنا بكتاب نقرؤه، وغير ذلك من المطالبات، والتي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم منها الرفض التام حيث لم يكن وراء تلك المفاوضات إلا عناد وتكبر، رد عليهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)﴾ [الإسراء] ٢٦، بل وصل حالهم من التكبر في سبيل التفاوض أن دعوا على أنفسهم بإمطارهم بالحجارة أو العذاب، عن أنس قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٤)﴾ [الأنفال] ٢٧.

وما علموا طريقا في سبيل تعطيل دعوة الله إلا سلوكه، فقد ذهب بهم الأمر أن فاضوا اليهود في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكيفية التعاطي مع الإسلام، فطلب منهم اليهود بسؤال محمد عن ثلاثة أشياء وهي أصحاب الكهف، وذو القرنين، والروح وأرشدوهم إن

^{٢٥} صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي) (دمشق: دار العصماء، ط ١، ١٤٢٧هـ)، ص ٨٢.

^{٢٦} محمد بن مصطفى بن عبد السلام الديسي، السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي (القاهرة: - جامعة عين شمس، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) ص ٣٦٠.

^{٢٧} محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب (بيروت: لبنان: دار ابن حزم، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ج ٢، ص ٤٥٣، حديث رقم ١٩٨٩.

أجابه باتباعه لأنه نبي وقد نزلت هذه القصص في سورتي الكهف والإسراء ولكن لم يهتدوا بعد أن علموا بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم.

الفرص المتاحة للدعوة الإسلامية: تأتي المنح تباعا مع المحن، وبعد العسر يأتي اليسر، كما ينفلق الصبح عقب ليل بهيم، فقد فتح الله تعالى الأبواب مشرعة في سبيل الدعوة الإسلامية تقلبا في الابتلاء بالتحديات والفرص، فقد هيا الله تعالى للدعوة طرقا انبى من خلالها التأسيس الأول نتيجة الجهد والتضحيات العظام في سبيل التمكين لدين الله تعالى ومن هذه الفرص.

- حماية للدعوة الإسلامية: ظهرت بوادر حماية الدعوة، حتى من خارج نطاق المسلمين فقد نافع عنهم أبو طالب وبنو المطلب وبنو هاشم، وتحملوا معهم ما فرضته قريش على المسلمين من حصار اقتصادي واجتماعي استمر لمدة ثلاث من السنين، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي^{٢٨}.

مقاصد الابتلاء في الدعوة الإسلامية وفرص استثمارها:

- فهم الصحابة لمعنى التمحيص وممايزة الصفوف: مما ساهم بشكل أساس في التربية الجماعية وتحمل الأذى والصبر عليه حيث جعل الله الابتلاء وسيلة لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق منهم والمبطل؛ وذلك لأن المرء قد لا يكشف في الرخاء، بل الشدة تكشفه، قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) ﴿[العنكبوت]﴾. وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: "ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة، التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة،

^{٢٨} عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، ١٤١١)، ج ٢، ص ١٩٥.

ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودًا، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها بالصبر عليها، فهم عليها مؤمنون^{٢٩}.

- الإعداد لتحمل الأمانة: أمانة الدعوة تقتضي معرفة الدعوة وضرورتها للحياة، ودور أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بدأ بأول يومٍ تعليميٍّ في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم يشاهدون، ويتعاملون مع عتاة الكفر وصناديد المشركين، صبرا وتحملا، وكانت الأمثال فيما يلاقيه الرسل وأتباعهم في سبيل الدعوة تَبْنِي في نفوس الصحابة مفهوم الأمانة وأهميتها، فهذا نوح عليه السلام أورد كيف اجتهد والأساليب التي اتبعها في تبليغ دين الله تعالى، وكذا الخليل والكليم عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد رأينا نتائج الأمانة في انتشار وبلوغ دعوة الله مشارق الأرض ومغاربها، فبعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واصل هذا الرعيل ما استقوه من مدرسة النبوة، فدولة الخلفاء الراشدين ما هي إلا امتداد لدولة الرسول صلى الله عليه وسلم على ذات الخطى وبذات المفهوم.

- استثمار عناصر القوة للدعوة الإسلامية: من أعظم النعم في سبيل نقل الدعوة من السرية إلى الجهرية تقارع المشركين وتزاحمهم في تعرية باطلهم وإرشادهم لنور الإسلام، تمثل في إسلام حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وعمر بن الخطاب، - قال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: "إن كان إسلام عمر رضي الله عنه لفتحاً، وإن كانت هجرته لنصراً"^{٣٠}، فكانت وأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق .

- العالمية تتحقق في مراحل الدعوة تأسيساً وانتشاراً: المتتبع للفوج الأول من المسلمين يرى مظاهر العالمية للرسالة ماثلة في إسلام بلال وصهيب وغيرهما، ثم ما فتئت تتوسع العالمية في الحبشة وربوع جزيرة العرب وما جاورها من البلدان على الرغم من أن الإسلام اتخذ الدعوة في

^{٢٩} سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٢٢

^{٣٠} أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، كتاب الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، ص ٢٨٣.

قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية، فقد جاءت الآيات المكية تبين عالمية الدعوة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (107) [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) [سبأ]، ولقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل ونتج عن ذلك الهجرة إلى المدينة التي صارت فيما بعد مقر الدولة الإسلامية ومنطلق الدعوة الإسلامية، فمنها شاع النور إلى مشارق الأرض ومغاربها، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم وفودا للملوك والأمراء كهرقل والمقوقس يدعوهم فيها للإسلام، وبسط نفوذ الدولة الإسلامية حيث أقام الدساتير لحفظ حقوق الناس على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم، ومن ثم قارع الجاهليون في رحلة جهادية أفضت إلى ترسيخ دعائم الدولة الإسلامية، وكسرت من شوكة قريش وطغيانها في بدر وفي يوم الأحزاب وصلاح الحديبية وفتح مكة، وقائع هزت عرش الكفر وحاصرته، فأصبح من أراد الإسلام من القرشيين ملاذه آمن لا يخشى فيه قريش، حتى جاءت اللحظة اللطيفة بدخول أهل مكة في دين الله أفواجا.

الدعوة في الواقع المعاصر تحدياتها وسبل التعاطي معها:

ما فتئت الدعوة الإسلامية عبر تاريخها المديد تواجه ذات الفرص والتحديات الماثلة، فالعولمة والترابط الأممي، والانترنت وما قام به من ربط بين مكونات المجتمع البشري، اختلاف البيئات والمعتقدات لدى المكونات البشرية، الإعداد الإداري والمعرفي للدعوة والدعاة، بقدر ما هي مسؤوليات جسام في حاجة للتعاطي معها لما فيها من الفرص المهمة في سبيل تنمية العمل الدعوي وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن فيما تبقى من مساحة التعرض لشيء من التفاصيل المختصرة بقية التوضيح.

تحديات وفرص العولمة: بما أن العالم أصبح قرية يسهل التواصل معها عبر شاشة الكمبيوتر بفضل الله تعالى ومن ثم ما قدمته وسائل الانترنت من سهولة التواصل، الأمر الذي جعل منه تحديا للدعوة بقدر ما هو فرصة ماثلة يسهل التعاطي معها، فأهل الباطل وما يقومون به من تشويه صورة الإسلام، وإلقاء الشبهات يسهل عليهم عرض بضاعتهم على من يشاؤون، فانتشرت مواضع الغش والتدليس والدس في تشويه صورة الإسلام، فالملاحدة، والمنصّرين ومن

يقول بوحدة الأديان، والقرآنيون منكري السنة، والعلمانيون وأهل الهوى والباطل، أضحت بضاعتهم رائجة في تشويه صورة الدعوة الإسلامية، ولهم سلف في الكذب والتضليل، فالاستشراق على سبيل المثال عمل جاهدا لتشويه صورة الإسلام وهدم قيمه الفكرية بالإفتاء عليه وعلى نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو أساس الرسالة ومثالا للمهتدين صلوات ربي عليه وأفضل التسليم، فكانت شخصيته عظيمة ترك إرثا في العقيدة والفكر يحرر البشرية من التبعية لغير الله تعالى وكوّن أمة المهتدين، فعمد المستشرقون - المستشرق بين أن يكون علمانيا، ماديا، لا يؤمن بالغيب، وبين أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية³¹ - بإلقاء الشبهات حول شخصيته آملين في النيل من الإسلام، في محاولة حديثة في الصد عن دين الله تعالى، فكرروا شبهات الكفار الذين جادلوه في مكة ورموه بالسحر والكهانة والجنون، وأنه يعلمه بشر، من أجل تشويه صورة الإسلام وتشكيك المسلمين في أمر دينهم ونبيهم، وتحذير من أراد الدخول في السلام، وقد وسموا الصحابة بالسذاجة والارتزاق والتبعية القائمة على التقليد، وزعموا أن الدين الإسلامي مجموعة العقائد المسيحية واليهودية والوثنية³².

البناء المعرفي سبيل لتحسين الدعوة الإسلامية: بفضل الله تعالى أتاحت وسائل التطور التكنولوجي سرعة واتساع المعرفة بالإسلام، ونشط في مجال الدعوة كثير من القائمين على أمرها في مشارق الأرض ومغاربها، وأضح الوصول للمعلومة في غاية السهولة والبساطة، وقد ساعد هذا بدوره على نقل المعارف الإسلامية إلى خارج حدود الدولة المسلمة، الأمر الذي أكسب الإسلام ميادين جديدة فانتشر الإسلام في أمريكا وأوروبا وأستراليا ونيوزيلاند وكندا وروسيا، وبات يمثل الديانة الثانية في كثير من البلاد الغربية، وساعد على ذلك استقاء المعرفة من مصادرها بدلا من أن تؤخذ من أفواه المنصرين والمستشرقين، وازدياد عدد الدارسين من الدول الإسلامية والمهاجرين، وكثر بناء المراكز والمساجد، فضلا عن البعثات للدراسات الإسلامية في

³¹ عماد الدين خليل، المستشرقون والسير النبوية (دمشق: بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،

١٤٢٦هـ)، ص ١١.

³² علي بن نايف الشحود، المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، ج ٥، ص ١٦ -

<http://www.shamela.ws>

بلاد المسلمين، فكثرت عدد الدارسين من الدول الغربية للدراسات الإسلامية، كما أن كثير من الجامعات وفرت فرص للدراسات الإسلامية وما لحق بها في الجامعات الغربية، فضلاً عن المعاهد والمدارس الدينية في بلاد الغرب.

المحافظة على القيم الإسلامية: ما يُفَضَّل به المسلمين عن غيرهم قيم الدين وتطبيقاته في جانب الفرد والأسرة والمجتمع، والتمسك بذلك إنطلاقاً من أن الدين عقيدة تعبدية لله تعالى، وهذا ما يمثل مركز جذب لكثير من مكونات المجتمع البشري الذي فقد قيمة الأسرة والترابط المجتمعي والخواء الروحي وهنا يأتي دور الأسر والمدارس والجامعات والدعاة في سبيل المحافظة على هذا الإرث السمين، وهو أحد طرق الدعوة بالأسوة والإقتداء قال صلى الله عليه وسلم: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمر الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^{٣٣}

إزالة معالم ومظاهر الجهل: اتباع الهوى والشبهات والخرافات والأساطير أخذ حيزاً كبيراً من أوقات المسلمين وأهدر زمن الدعوة وشتت تفكير الدعاة، وهو خلل لا بد من الانتباه إليه لأنه سبب عائقاً في طريق الإصلاح والتطوير، فشوش على الناس في كثير من قيم الموروث الإسلامي، وشتت جهود وتركيز الناس بكثرة البدع والخرافات والخلاف – كره النبي صلى الله عليه وسلم الخلاف وكذا الخلفاء الراشدون^{٣٤} –، فالله تعالى خلقنا لتوحيده وعمارة أرضه وفق منهجه ودستوره الذي رسم لنا سبيل اتباعه، ولكن أصحاب الباطل زينوا وشوشوا على الناس كثير من مسائل العقيدة والعبادة، فاحتاج الناس للرجوع إلى المعين الصافي والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

^{٣٣} مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم (بيروت: دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، د.ت، د.ط) ج ٦، ص ٧، حديث رقم ٤٨٢٨.

^{٣٤} ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

الخاتمة

- الدعوة الجهرية بمكة كان أساسها بني على مدة ثلاث من السنين في فترة الدعوة السرية التي ارتكزت على ثقل المسلمين الجدد على التكيف في التعامل مع ما يجابههم من تحديات وفرص في سبيل بناء وتطوير الدعوة.
- الدعوة الجهرية هي الصدع بالحق وتشيت أفكار أهل الباطل وتسفيه أحلامهم بالحجة والبراهين، وإحلال الحق مكانها، فهي ليست الاعلام بالدعوة بقدر ما هي إزالة أفكار عاشها أصحابها أزمنة متعاقبة، وإحلال مفهوم العبودية لله تعالى وتوحيده مكانها، وتعريف الناس بأهمية ذلك والدعوة إليه بالحجة والبرهان.
- انبنت أسس الدعوة الجهرية على الصدع بالحق، على أعين الناس وامتصاص ردود أفعالهم السلبية تجاه الدعوة، والإعراض عن كل أذى يتعرضون له في سبيل الصدع بالحق.
- من التحديات في سبيل الدعوة الجهرية التعذيب الذي تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم الجسدي والمعنوي، ولقد سخر منه المشركون ووسموه بالجنون والسحر والكهانة، وغيرها، كما نالوا من أصحابه وعذبوهم أشد العذاب، وحاصروهم وأخرجوهم من ديارهم مكرهين.
- استخدم الكفار أسلوب الاستعلاء والسخرية في مفاوضاتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، وطالبوه بتحقيق أشياء في سبيل إمكانية قبول الدعوة، فأمره بطرد الفقراء والعبيد وتعللوا بأنهم هم الأسياد ولا سبيل لمجالسة هؤلاء الضعفاء، وطالبوه بتغيير المناخ البيئي بمكة، وأن يكون له بيت من زخرف وغير ذلك، ولكن اقتضت الحكمة والرحمة التي امتثل بها نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يرد طلبهم خوفاً وإشفاقاً عليهم حيث الجاهلون ما زالوا محجوبين عن نور الإسلام.
- هياً الله تعالى للدعوة فرص استفادت منها في بسط هيمنة الإسلام وحققت عالميته من واقع انتشار الدعوة خارج حدود مكة في الوقت الذي كانت قريش تمارس فيه التنكيل والبطش بالمسلمين، اعتنق النجاشي الإسلام واصبحت الدعوة عابرة للقارات وكفار قريش في غيهم يعمهون.

- الدعوة في الواقع المائل أمامنا تمر بما يشبه بدايتها بتحديات عصرية تمثلت في تنوع أعدائها واختلاف مشاربهم، مع اتفاقهم على محاربة الدعوة وقيمها التي أضحت في سبيل العولمة مفخرا للإنسانية، وهي تدعوا إلى الفضيلة وتطبيقاتها كقيم اجتماعية في الوقت الذي تعاني فيه مجتمعات المستشرقين والليبراليين وغيرهم من فقدان الهوية الإنسانية، فضاء مفهوم الأسرة والترابط الأسري والتربية وقيم المجتمع. واجتهدوا كثيرا في نشر الرذيلة والدعوة إلى الفجور بفخر وإعزاز وجعلوه رمزا للحرية وفي طياته خطر عظيم على مجتمعاتهم ومجتمعات المسلمين.

فالله تعالى أسأله الستر والعفاف والتوفيق والسداد

REFERENCES

- Aḥmad Aḥmad Ghalūsh. (1424/2003). *Al-Sīrah al-nabawiyah wa al-d'awah fī al-'ahd al-Makkiyy*. Beirut: Mu'assasah al-risālah.
- Aḥmad ibn Ḥanbal. (1416/1995). *Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal*. (Aḥmad Muḥammad Shakir, Ed.). Cairo: Dār al-ḥadīth.
- al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-dīn. (n.d.). *Ṣaḥīḥ al-Sīrah al-Nabawīyyah*. 'Ammān: al-maktabat al-islāmī.
- al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. (1407/1987). *Al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar*. (Mustafa Dib al-Bagha, Ed.). Damascus University. Beirut: dār ibn kathīr.
- al-Ghazālī, Abū Ḥāmid aṭ-Ṭūsiy. (n.d.). *Iḥyā' 'Ulūmiddīn*. Beirut: dār al-Ma'rifah.
- al-Ḥalabī, Burhān ad-Dīn Ibrāhīm ibn Muḥammad. (1427H). *al-Sīrah al-Ḥalabīyyah*. Beirut: dār al-kutub al-'ilmiyyah.
- al-Jawharī, Abū Naṣr Ismā'īl ibn Ḥammād al-Fārābī. (1407/1987). *Tāj al-lughah wa-ṣiḥḥ al-'arabiyyah*, (Aḥmad 'abd al-ghafūr 'Aṭṭār, Ed.). Beirut: dār al-'ilm li al-malāyīn.
- Ibn Hisham 'Abd al-Malik ibn Ayyūb. (1411H). *Sīrat ibn Hishām*. Ed. Taha 'Abdur Ra'uf. Beirut: Dar al-Jil.

- Ibn Qayyim al-Jawzīyyah. (1411/1991). *I'lam al-Muqi'in 'an Rabb al-'Alamīn*. Beirut: dār al-kutub al-'ilmiyyah.
- ‘Imād al-Dīn Khalīl. (1426H). *Al-Mustashriqūn wa al-Sīrah al-Nabawiyyah*. Beirut: Dār Ibn Kathir.
- Mubārakfūrī, Ṣafī al-Raḥmān. (1427H). *al-Raḥīq al-makḥtūm*. Damascus: Dar al-‘Asma’.
- Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī. (n.d.). *Ṣaḥīḥ Muslim*. Beirut: dār al-Jīl.
- Nadwi, Abu’l-Hasan ‘Alī. (1425H). *Al-Sīrah al-Nabawiyyah*. Damascus: dār ibn kathīr.
- Sa’īd Hawī. (1416/1995). *Al-‘Asās fī al-Sunnah wa fiqhūha: al-Sīrah al-Nabawiyyah*. Rabat: Dar al-Salam.
- al-Ṣalābī, Alī Muḥammad. (2009). *Al-Sīrah al-Nabawiyyah*. Damascus: Dar Ibn Kathir.
- Sayyid Quṭb. (2011). *Fī zilāl al-Qur’ān*. Beirut: Dar al-Shuruq.
- al-‘Umarī, Akram Diyā’. (1415/1994). *al-Sīrah al-Nabawiyyah al-ṣaḥīḥah*. Madinah, KSA: Maktabat al-‘Ulūm wa al-ḥikam.
- Al-Zubaidī, Muḥammad ibn ‘abd al-Razzāq. (n.d.). *Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*. Kuwait: Dār al-hidāyah.